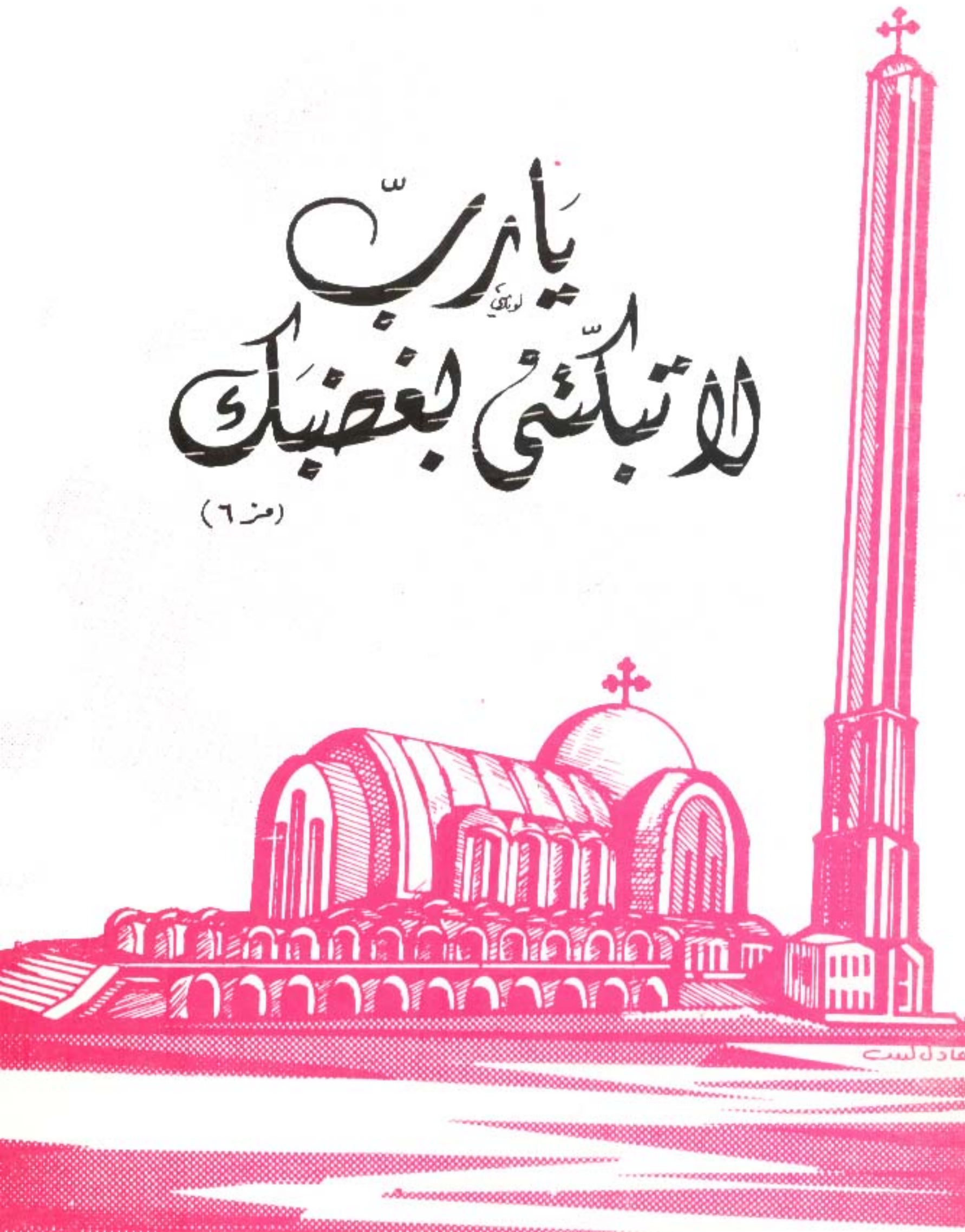


البیبا سنووه الثالث

یا رب لا تبغضنی بغضیک

(منز ۶)



فادله است

البابا شنودة الثالث

يَا رَبِّ
لَا تَبْغِثْ بَغْضِيكَ
(مزمور ٦)

Contemplation on The 6th Psalm

By H. H. Pope Shenouda III

2nd print

April 2003

Cairo

الطبعة الثانية

أبريل ٢٠٠٣

القاهرة



قَلَامُنَا بَابَا شُكْرَا الشَّالِث

مقدمة

المزمور السادس من مزامير صلاة باكر .
وأيضاً هو من مزامير التوبة ، مثل المزمور الخمسين .
وكذلك هو صراخ إلى الله ، من إنسان فى ضيقة : مثل
المزمور ١٢ (١٣) "إلى متى يارب تنسانى" ومثل المزمور الثالث
"يارب لماذا كثر الذين يحزنونى .."
إنه يناسب من هو فى ضيقة عادية من أعدائه ، ومن هو فى
تعب روحى من الخطية ومن الشيطان ...
إنه يعبر عن مشاعر يمكن أن تمر فى قلوب كثيرين ، يطلبون
الرحمة من الله .
وقد اهتمت الكنيسة بهذا المزمور ، فكررتة فى بعض صلوات
الأجبية : فى صلاة باكر ، وفى صلاة الستار للرهبان ، وفى صلاة
نصف الليل ...

وهو أيضاً من المزامير التى تبدأ بشرح التعب ومشاكل الأعداء
المضايقين ، ولكن تنتهى بالفرح . ويشعر المصلى أثناء صلاته أن

الله قد قبلها وقد استجاب ، مما يدعو إلى التهليل والتسبيح .
يشبه في ذلك المزمور الثالث ، وأيضاً المزمور الثاني عشر .
نفس الروح ، ونفس الإستجابة .
ولقد قمت بإلقاء التأملات في هذا المزمور في أواخر سنة
١٩٦٨ في الاجتماعات يوم الجمعة . وظل التأمل محفوظاً في
الكاسيتات الصوتية ، إلى أن شاء الله أن يطبع بعد حوالي ٢٧
عاماً ، ويصل إلى يدك أيها القارئ العزيز .
وهو واحد من مزامير كانت موضع تأملاتنا في تلك الفترة .
وقد نشرنا بعضها ، وأرجو أن يكون الباقي في طريقه إليك إن شاء
الله .

البابا شنودة الثالث

أبريل ١٩٩٥

يَا رَبِّ

لَا تُبَكِّتْنِي بِغَضَبِكَ

(مَز ٦)

يارب لا تبكتنى بغضبك

(مزمع ٦)

يارب لا تبكتنى بغضبك ، ولا تؤدبنى بسخطك

ارحمنى يارب لأنى ضعيف

اشفىنى فإن عظامى قد اضطربت ، ونفسى قد انزعجت جداً .

وأنت يارب فالى متى .

عد ونج نفسى ، واحينى من أجل رحمتك .

لأنه ليس فى الموتى من يذكرك ، ولا فى الجحيم من يعترف

لك .

تعبت فى تنهدى . أعوم كل ليلة سريرى ، وبدموعى أبلى

فراشى .

تعكرت من الغضب عيناى . هزمت من سائر أعدائى

ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم

لأن الرب قد سمع صوت بكائى . الرب سمع تضرعى . الرب

لصلاتى قبل .

فيلخز وليضطرب جداً جميع أعدائى .

وليرتدوا إلى ورائهم بالخزى . هلولوا

يَا رَبِّ لَا تَبْكُنِي بِغَضَبِكَ

لَا تَبْكُنِي بِغَضَبِكَ

هذا المزمور من مزامير التوبة المشهورة ..
ومن إهتمام الكنيسة به ، وضعته في صلاة باكر ، وفي صلاة
نصف الليل ، وفي صلاة الستار التي يصليها الرهبان . يقول داود
في مقدمته :

" يَا رَبِّ لَا تَبْكُنِي بِغَضَبِكَ ، وَلَا تَوْدِبْنِي بِسَخَطِكَ .

وهو هنا يعترف بخطيئته ، ويعترف بأنه يستحق التبكيت
والتأديب ، إنما يطلب ألا يكون ذلك شديداً عليه .

يقول للرب " لَا تَبْكُنِي بِغَضَبِكَ " ، لأنه إنسان ضعيف ، لا
يحتمل غضب الله .. لو أدبتني يا رب بغضبك ، يمكن أن تفنيني ،
ولا تبقى على . وهذا المعنى قاله أيضاً أرميا النبي " أدبني يا رب ،
ولكن بالحق . لا بغضبك لئلا تفنيني " (أر ١٠ : ٢٤) .

هو لا يعفى نفسه من التبكيت، ولكنه يقول : لا تبكتنى بغضبك :
لأنه " مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى " (عب ١٠ : ٣١) .
عندما غضب الله غضبة شديدة على خطايا الناس ، أغرق العالم
بالطوفان . ثم رجع وتحنن ، ووضع علامة حتى لا يعود يفنى كل
ذى جسد على الأرض (تك ٩ : ١٥) . ثم غضب غضبة أحرق بها
مدينة سادوم (تك ١٩) . وغضب الرب على فرعون ، فأغرقه هو
وكل جنوده فى البحر الأحمر (خر ١٤ : ٢٨) . وغضب الرب على
قورح ودathan وابيرام ، فابتلعته الأرض وهم أحياء (عد ١٦ : ٣٢) .



ونحن نخطئ كل يوم . وربما تكون خطايانا فى مثل خطايا
أولئك الناس .

ونصرخ إلى الرب ونقول : لا تبكتنا بغضبك .
لو عاملتنا يارب بغضبك ، فلن يخلص أحد . ونحن نصلى
للرب فى صلوات الصوم الكبير ، ونقول " لأنه إن عاملتنا يارب
بعدلك ، فلن نجد حجة " . لذلك يقول داود للرب " لا تبكتنى بغضبك " .
التبكيت له بركات ، ويمكن أن ننتفع بها .

لكن يارب لا تبكت بغضبك ، ولا بسخطك .



ولنا مثال عجيب فى تبكيت ربنا يسوع المسيح لبطرس الرسول:
ذلك الذى أنكر ولعن وجدف ، وقال عن السيد لا أعرف الرجل .
ولكن الرب بكته تبكيتاً خفيفاً هادئاً ، لا بغضبه ولا بسخطه . فقال
له "يا سمعان بن يونا. أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟ ارع غنمى . ارع
خرافى... " وكرر السؤال ثلاث مرات (يو ٢١ : ١٥ - ١٧) .
لم يذكره علناً بإنكاره وخطاياه . دون أن يجرحه ويحرجه .

إن الله لا يخدش مشاعر الناس ، ولا يجرح قلوبهم .
إلا فى الضرورة القصوى . تماماً كالطبيب الطيب ، الذى بكل
رقة يعالج المريض ، لا بقسوة ولا بسخط .



وكثير من الخطايا لم يبكت عليها الله ...
ابراهيم أبو الآباء مثلاً ، قال عن ساره أنها أخته . حتى أخذها
أبيمالك ملك جرار إليه ... (تك ٢٠ : ٢) . ما هو التبكيت الذى
أخذه من الرب . بكت أبيمالك ، ولم يبكت ابراهيم . صحيح أن
ابراهيم ناله تبكيت من أبيمالك الذى قال له "ماذا فعلت بنا، وبماذا
أخطأت إليك، حتى جلبت على وعلى مملكتى خطية عظيمة ؟!
أعمالاً لا تعمل عملت بى" (تك ٢٠ : ٩) . ولكن الله لم يقل له شيئاً .
كفى ما ناله .

الإسان هو الوحيد الذى يكثر من التبكيت .
"والذى يكثر من التبكيت يخرب نفسه " كما قال الحكيم .
ويخسر أصدقاءه كما هو عملى فى الحياة .
يارب لا تبكتنى بغضبك . بكتنى كما بكت بطرس وإن احتاج
الأمر إلى غضب ، لا يدم غضبك إلى الأبد . إننا نصلى إلى الله
ونقول "ارفع غضبك عنا" . يتابع داود صلاته فيقول :

لا تؤدبنى بسخطك

أدبنى يارب ... فأى ابن لا يؤدبه أبوه ؟! ... والذين لا يقبلون
التأديب هم نغول لا بنين (عب ١٢ : ٨) .
أدبنى فإن التأديب نافع لى ، وأنا أستحقه ، لأئنى فعلت ما
يستوجب التأديب وأكثر . ولكن لا تؤدبنى بسخطك بل أدبنى حسبما
أحتمل .
وتأديبك يارب أنا أقبله برضا .

إرحمنى يارب فإنى ضعيف

(ارحمنى) هى أكثر كلمة مستعملة فى الكنيسة وفى صلواتها .
ولا توجد صلاة فى رفع بخور باكر أو فى رفع بخور عشية أو فى

المزامير ، إلا وفيها عبارة (ارحمنا) . ونكررها مرات كثيرة فى قولنا (كيريا ليصون)

ارحمنى يارب فانى ضعيف ... وأيضاً لأن قلبك واسع يتسع لكل خطية .. أياً كان نوعها .



ارحمنى يارب ، لأنك لو لم ترحمنى أنت ، لا يمكن أن يرحمنى أحد غيرك .

لو أن قلبك أنت قد أغلق ، لا أجد قلباً آخر . رحمتك هى الستر الذى أختبئ وراءه فلا تظهر خطاياى . رحمتك هى أساس الفداء . هى أساس الخلاص .



ارحمنى يارب تغنى حول خطاياى إلى رأس المسيح . وهذا الذبيح العظيم المخلص ، يمحو خطاياى بدمه الكريم . إن كان داود قد قال (ارحمنى) قبل الفداء ، وله رجاء كبير أن هذا الفداء سيحدث . فنحن لنا رجاء أعظم بعد أن تم الفداء ... إذن يارب إحسبني ضمن الذين سفكت دمك من أجلهم .

ارحمنى يارب فانى ضعيف . اشفنى فإن عظامى قد اضطربت ونفسى قد انزعجت جداً .



فرق كبير بين داود العنيف وداود الضعيف .

بين داود الذى استل سيفه ، وطلب من عبده أن يستلوا أيضاً سيوفهم ، ليمضى ويقتل نابال الكرملى ، إذ لم يعطه شيئاً يوم جز الغنم (اصم ٢٥: ١٣ ، ٢٢) وقال كلاماً صعباً ، جعل أبيجايل تأتى بسرعة لإنقاذ الموقف ..

كان كذلك فى عنفه . وأجازه الله فى التجربة .

ثم أخطأ داود ، وتذلل وتاب ، وبلل فراشه بدموعه . وعرف هذا الملك الجبار ، وهذا القائد العظيم ، وهذا النبى الكبير ، أنه يمكن أن يوجد فى داخله قلب ضعيف يمكن أن يشتهى ويسقط .

وهكذا تذلل وقال ارحمنى يارب فأتى ضعيف .

أنا لست داود ، الذى استطاع فى قوة أن يقتل جليات ، ولست داود الذى هدّد نابال الكرملى . أنا الآن رجل ضعيف أمامك . فارحمنى يارب .

الله مع الضعفاء

ودائماً الرب يرحم الضعفاء .

أما الشخص الجبار العنيف القاسى الشديد ، يكون بعيداً عن رحمة الله . إلهنا هو إله الضعفاء . "اختار الله ضعفاء العالم ،

ليخزى بهم الأقوياء " (١كو ١: ٢٧) . القوي يعتمد على قوته . أما الضيف فهو الذى يقف الله إلى جواره .

✠ ✠ ✠

حتى الأقوياء الذين اختارهم الله .

كانوا يقفون أمامه كضعفاء . كل واحد منهم يقول له " ارحمنى يا الله لأنى ضعيف " .

خذوا مثلاً يرينا أهمية الشعور بالضعف : إيليا النبى الجبار العنيف ، الذى قال تنزل نار من السماء وتأكل الخمسين (٢مل ١: ١٠) . إيليا الذى أمسك أنبياء البعل والسوارى أربع مائة وخمسين وذبحهم (١مل ١٨ : ٤٠) . وكأن الله يقول لإيليا : هذه الشدة من الجائر أن تتعبك يا إبنى ...

فماذا فعل الله : سمح أن إيزابل الملكة تهدد إيليا . فخاف إيليا وذهب إلى البرية . ولاقاه الله هناك . وقال له مالك هنا يا إيليا؟ فقال له فى خوف : قتلوا أنبياءك بالسيف وبقيت أنا وحدى . وهم يريدون نفسى ليأخذوها (١مل ١٩ : ١٤) .. أخيراً أمكن أن تخاف يا إيليا !!..

✠ ✠ ✠

وحتى الجبابرة يسمح لهم الله أحياناً أن يخافوا أو يضعفوا ،

لأنه يريد القلب انه :سحق المتخضع ...
الإنسان الذى يقف مسكيناً أمام الله ، هو الذى يستطيع أن يقف
فى قوة أمام الناس .. أما الذين يشعرون فى أنفسهم أنهم جبابرة :
فهؤلاء يبعد الله عنهم .



هناك آيات عن هذا الموضوع فى أشعياء النبى فى الإصحاح
الثانى . قال :

" إن لرب الجنود يوماً على كل متعظم وعالٍ ، وعلى كل مرتفع
فيوضع . وعلى كل أرز لبنان العالى ، وعلى كل بلوط باشان .
وعلى كل الجبال العالية ، وعلى كل التلال المرتفعة . وعلى كل
برج عالٍ ، وعلى كل سور منيع ... فيخفض تشامخ الإنسان ،
وتوضع رفعة الناس . ويسمو الرب وحده فى ذلك اليوم " (أش ٢ :
١٢-١٧) .



الناس الجبابرة المعتزون بقوتهم ، والمعتزون بسلطانهم ،
والمعتزون بعنفهم .. يرى كل منهم أنه يستطيع أن يضرب ،
ويستطيع أن يذل غيره ، ويستطيع أن يعاقب ويسيطر . يا خوف
هذا الإنسان من هذه الآية التى تقول " إن لرب الجنود يوماً على كل

متعظم وعالٍ ، يُخفض تشامخ الإنسان ، وتوضع رفعة الناس ،
ويسمو الرب وحده فى ذلك اليوم " .. كلام له عمقه وله
موسيقاه..

هذا الشخص العالى المتشامخ ، يجب أن ينسحق أمام الله ،
ويقول له : ارحمنى يارب فإنى ضعيف ...

قد تكون برجاً عالياً فى وظيفتك . قد تكون أرز لبنان أمام
الناس . ولكن ينبغى أن تتضع وتقول ارحمنى يارب فإنى ضعيف .
لأن الرب قادر أن يسحق أرز لبنان ، وقادر أن يقطع بلوط باشان ،
ويسمو الرب وحده فى ذلك اليوم ...



الواقع يا أخوتى ، إننا حينما نتتبع معاملات السيد المسيح
للناس ، نجده حنوناً جداً ورقيقاً جداً على الضعفاء والمساكين ،
ونجده شديداً فى معاملة العنفاء .

لم يقف المسيح أبداً ضد إنسان مسكين . كان يجمع الضعفاء
ويحتضنهم ويشفق عليهم .



المرأة المضبوطة فى ذات الفعل ، أنقذها وقال لها "وأنا أيضاً لا
أدينك . اذهبى ولا تخطئى أيضاً (يو ٨ : ١١) . يكفيها ما نالته من

الذل والفضيحة . أما العنفاء الذين شهروا بها، وجروها للحكم ، فإنه كتب لهم اخطاءهم على الأرض . وقال لهم "من كان منكم بلا خطية، فليرمها أولاً بحجر" (يو ٨: ٧) . فبدأوا بخزي ينصرفون الواحد تلو الآخر .

فلماذا انصرفوا في خزي؟ لأن الرب نفذ نفس الآية "يخفض تشامخ الإنسان، وتوضع رفعة الناس .. " فكأنه يقول لهم "اخفضوا رؤوسكم بعض الشيء، وكفى تشامخاً ، فأنتم أيضاً خطاة تحت الحكم...! كفى سعياً وراء رجم هذه المرأة أو غيرها .. فكل واحد منكم محتاج أن يقول : ارحمنى يارب فإنى ضعيف ...



إن كنت تريد أن يرحمك الله لأنك ضعيف ، ارحم الضعفاء .

تقول له : ارحمنى يارب فإنى ضعيف . فيجيبك : أين هو هذا الضعف : هل فى هذا الإنتفاخ والعظمة ضعف؟! هل فى هذا الجبروت ضعف ؟ .. حينما تكون ضعيفاً ، حينئذ سأرحمك .. هل يستطيع أحد أن يقول : ارحمنى يارب أنا الجبار ! ارحمنى يارب أنا البار! كلا ، إن هذا الأسلوب لا ينفع فى طلبك الرحمة من الله .

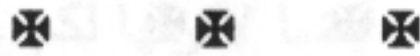


تذلل داود أمام الله . وكأنه يقول :

لست أنا الجبار الذى قتل جليات ، بل أنا الضعيف الذى قتلته

الخطية مع بثشبع .

وقتل النقاوة التى فيه ، وإن كان الله فيما بعد قد أعاد له بهجة خلاصه .



كان السيد المسيح رفيقاً بالخطاة والعشارين ، رفيقاً بتلك المرأة التى بللت قدميه بدموعها ، أكثر من الفريسي البار فى عينى نفسه ، الذى أدانها فى فكره .

إن الله لم يوبخها على خطية واحدة ، بل ذكر لها محبتها وانسحاقها ، وقال لها مغفورة لك خطاياك . أما ذلك الفريسي المتكبر فقد كشف له الرب أن تلك المرأة الخاطئة كانت أفضل منه (لو ٧ : ٣٦ - ٤٨) . فلا داعى إذن للعجرفة ، وكان أولى به أن يقول كما فى المزمور "ارحمنى يارب فإنى ضعيف" . ولأنه لم يكن ضعيفاً وقتذاك ، لذلك وبخه الرب . وقال له : "دخلت بيتك ، وماء لرجلى لم تعط .. بقبلة لم تقبل فمى ... بالزيت لم تدهن رأسى" . لم تقم بشئ من واجبات الضيافة والمحبة ، وكل عملك كان أن تدين فى قلبك . لذلك ينبغى أن يُخفض تشامخ الإنسان ، وتوضع رفعة الناس ، ويسمو الرب وحده .



وكان السيد المسيح رفيقاً بالعشار المعترف بخطيته الذى

يطلب الرحمة لنفسه ، أكثر من ذلك الفريسي الذى وقف يفتخر
بفضائله فى صلواته . فخرج العشائر مبرراً دون ذلك الفريسي
(لوقا : ١٨ : ٩ - ١٤) .



وكان السيد المسيح أيضاً رفيقاً بالأمميين ، وبالسامريين ،
وبالمولود أعمى الذى أخرجوه خارج المجمع . فقابله وأظهر له
ذاته ودعاه إلى الإيمان (يو ٩ : ٣٥ - ٣٨) .

أما العنفاء فإن الرب يتركهم إلى أن يتركوا عنفهم ، ويحاول أن
يهديهم . لقد وبخ الكهنة والشيوخ ، وكذلك الكتبة والفريسيين ،
لأنهم كانوا أشداء عنفاء وكذلك وبخهم على شدتهم ، فقال لهم :

" ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تغلقون
ملكوت السموات قدام الناس . فلا تدخلون أنتم ، ولا تجعلون
الداخلين يدخلون " أنكم تركتم أثقل الناموس : الحق والرحمة
والإيمان " (مت ٢٣ : ١٣ ، ٢٣) . ووبخهم أيضاً على قسوتهم لأنهم
قتلوا الأنبياء " (مت ٢٣ : ٣١) .

وبخهم كذلك "لأنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عثرة الحمل
ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها
بأصبعهم " (مت ٢٣ : ٤) .



ولكن أليست هذه الوصايا الثقيلة ، هي وصاياك أنت يارب؟
يقول : كلا ، إن وصاياى ليست ثقيلة (ايو ٥: ٣) أنا "تيرى
هين وحملى خفيف" (مت ١١: ٣٠) . أنا لا أضع أحمالاً ثقيلة على
الناس. 'إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقولها لكم . ولكن لا تستطيعون
الآن أن تحتملوا" (يو ١٦: ١٢) . إذن لا داعى لها حالياً .



وهكذا كان رسل الرب بنفس منهجه . حينما اجتمعوا معاً فى
مجمعهم بأورشليم من أجل قبول الأمم، قالوا : " لا نثقل على
الراجعين إلى الله من الأمم. بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات
الأصنام والزنا والمخنوق والدم" (أع ١٥: ١٩ ، ٢٠ ، ٢٨) .
وبولس الرسول الطيب الذى لا يريد أيضاً أن يثقل على الناس،
قال "لم استطع أن أكلمكم كروحيين، بل كجسديين ، كأطفال فى
المسيح. "سقيتكم لبناً لا طعاماً، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون"
(١كو ٣: ١ ، ٢) .



لقد اختار الرب يعقوب الضعيف أكثر من عيسو العنيف.
واختار يوسف الضعيف الذى تأمر أخوته عليه ، وباعوه كعبد .
أختار يعقوب الذى كان يصرخ له ويقول "صغير أنا عن جميع

الطافك وعن جميع الأمانة التى صنعت إلى عبدك .. نجنى من يد
أخى ، من يد عيسو ، لأنى خائف منه أن يأتى ، ويضربنى الأم مع
البنين " (تك ٣٢ : ١٠ ، ١١) . وهكذا قيل إن الله أحب يعقوب
وأبغض عيسو (رو ٩ : ١٣) . وقيل لأمه قبل أن يولدا أن الكبير
يستعبد للصغير (تك ٢٥ : ٢٣) (رو ٩ : ١٢) .



وكان الرب مع يوسف الصغير ، الذى ألقاه أخوته فى البئر ثم
باعوه للإسماعيليين (تك ٣٧ : ٢٠ ، ٢٩) .

يوسف الضعيف أمام مؤامرة امرأة فوطيفار ، الذى طرح فى
السجن ظلماً (تك ٣٩ : ١٩ ، ٢٠) ... يوسف هذا رفعه الرب ، وجعله
أباً لفرعون ، وسيداً لكل بيته ، ومتسلطاً على كل أرض مصر
(تك ٤٥ : ٨) .

وهكذا نصره الله على أخوته الضعفاء الذين باعوه ، وجعلهم
يأتون ويسجدون أمامه (تك ٤٣ : ٢٦ ، ٢٨) .



ووقف الله مع موسى الضعيف .
موسى الثقيل الفم واللسان ، وقف الله معه ضد فرعون الجبار
ونصره عليه . موسى هذا الذى قال لله "أنا لست صاحب كلام منذ

أمس ولا قبلاً من أمس" (خر ٤: ١٠) "من أنا حتى أذهب إلى
فرعون؟" وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر؟! (خر ٣: ١١) ،
كيف يسمعون فرعون ، وأنا أغلف الشفتين؟! (خر ٦: ١٢) .
موسى هذا الحليم الوديع ، الذى قال عنه الكتاب "وكان الرجل
موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض"
(عد ١٢: ٣) .

موسى هذا ، قال له الله "جعلتك إلهاً لفرعون" (خر ٧: ١) .
أى سيداً له . وقال له عن أخيه هارون "تكلمه وتضع الكلمات
فى فمه .. هو يكون لك فماً ، وأنت تكون له إلهاً" (خر ٤: ١٥) ،
(١٦) . أى مصدر الوحي الذى يوحى إليه بما يقوله من كلام .
بل كان الله مع موسى ضد أخويه هارون ومريم ، لما تقولا
عليه بعد زواجه من المرأة الكوشية ، فدافع الرب عنه . وقال إنه
"أمين على كل بيتى . فماً إلى فم ، وعياناً أتكلم معه" (عد ١٢: ٧) .
وضرب مريم بالبرص لأنها تقولت عليه ...



مَنْ مِنَ النَّاسِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضَعَ فِى كَفَتَى مِيزَانٍ: مُوسَى
الضَّعِيفُ وَفِرْعَوْنُ الْعَنِيفُ ؟!
ويقول مَنْ مِنَ هَذَيْنِ الْإِثْنَيْنِ يَغْلِبُ ؟!

فرعون فى الخطوات الأولى استخدم سلطته وعنفه حسبما شاء، وأذل الشعب، حتى استاءوا من تدخل موسى لأجلهم . وفى كبرياء قال فرعون "من هو الرب حتى أسمع لقوله وأطلق اسرائيل؟! لا أعرف الرب ، واسرائيل لا أطلقه " (خر ٥ : ٢) .
أما عن النهاية : فموسى الهادئ الضعيف المسكين ، انتصر على جبروت فرعون .



وهكذا الثلاثة فتية المساكين ، الذين حملوهم بكل عنف وألقوهم موثقين فى النار .

هؤلاء الضعفاء كان الرب معهم فى النار ، وشجرة من رؤوسهم لم تحترق ، ورائحة النار لم تأت عليهم . بينما لهيب النار المتقدة أحرق العنفاء الذين ألقوهم فى النار ... ولما أخرجوهم قال نبوخذ نصر "تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو، الذى أرسل ملاكه وأنقذ عبده" .. ورفع مركزهم فى ولاية بابل (دا ٣ : ٢٨ ، ٣٠) .



وبالمثل أنقذ الرب دانيال الضعيف الذى ألقوه المتآمرون القساة فى جب الأسود . أما الذين اشتكوا عليه ظلماً ، فقد أمر الملك داريوس أن "يطرحوهم فى جب الأسود هم وأولادهم ونساءهم .

ولم يصلوا إلى أسفل الجب ، حتى بطشت بهم الأسود، وسحقت كل عظامهم (دا: ٦١ : ٢٠ - ٢٤) .

✠ ✠ ✠
كان الله أيضاً مع داود الفتى الضعيف ، حينما وقف أمام جليات الرجل الجبار .

هذا الجبار لما رأى داود ، احتقره وهزأ به، وحسبه طفلاً . أما داود فكان يضع الحصاة في المقلاع ، وكل نقطة من دمه تصرخ إلى الله بعبارة : ارحمنى يارب فإنى ضعيف. وكان الله مع ضعفه، ونصره على جليات . لأن الحرب للرب كما قال داود ، وكما قال لجليات " أنا آتيك باسم رب الجنود . " " اليوم يحبسك الرب فى يدى " (اصم ١٧ : ٤٥ - ٤٧) .

✠ ✠ ✠
القديس الأنبا أنطونيوس الكبير يستخدم كلمة (ضعيف) .
حينما كانت تهجم عليه الشياطين فى البرية ، كان يقول لهم : أيها الأقوياء ، ماذا تريدون منى أنا الضعيف ؟ .. أنا أضعف من أن أقاتل أصغركم " . فلما كانوا يسمعون هذه الصلوات المملوءة إتضاعاً ، كانوا ينقشعون مثل الدخان. أما فى أعماقه فكانت عبارة " ارحمنى يارب فإنى ضعيف " .

✠ ✠ ✠

أنا يارب ضعيف أمامك .
وضعيف أمام الشيطان ، الذى هو "مثل أسد زائر يجول ملتصقاً
من يبتلعه هو " (ابط ٥ : ٨) . إنما قوتى بك . قوتى وتسبحتى هو
الرب ، وقد صار لى خلاصاً " (مز ١١٨ : ١٤) .

وأنا أيضاً ضعيف أمام نفسى . لذلك أطلب دائماً معونتك .
وأنا ضعيف أمام الناس ، أمام الأعزاء الذين طلبوا نفسى ، ولم
يسبقوا أن يجعلوك أمامهم " (مز ٥٤ : ٢) .
لذلك ارحمنى يارب فإنى ضعيف .



إذن فليحترس كل واحد منكم يا أخوتى ، إن وجد نفسه فى
مركز قوة أو فى حالة عنف .

أو فى موقف اعتداد بالذات كمن يقول : أنا سأعمل ، أنا سوف
أؤدب . سوف ألقى عليهم درساً .

احترس يا أخى ، إذا دُفع سلطان إلى يدك . احترس لنفسك ،
واحترس من نفسك . ارفض استخدام القوة ، واستخدام السلطة ،
واستخدام العنف . بل فى صلاتك قل :

ارحمنى يارب فإنى ضعيف . لا تدفع أحداً إلى يدي ، ولا
تدفعنى ليد أحد . قبل أن أقول : لا تعط لإنسان قوة يدوس بها على ،

أقول لا تعطني يارب قوة أدوس بها على غيري .
أعطني باستمرار أن أكون مظلوماً لا ظالماً ، ومصلوباً لا
صالباً ، ومغلوباً لا غالباً . لأنك حينئذ ستكون معي . لا تعطني أن
أكون منتصراً على الناس ، بل أكون منتصراً على نفسي ، أمامك .
فليخف كل واحد من القوة والعظمة والجبروت ، فإن لرب
الجنود يوماً على كل متعظم وعالٍ ، وعلى كل مرتفع فيوضع ...



أمامنا مثال هو سنحاريب ملك آشور .

لقد اعتز بقوته جداً ، وأرسل يهدد حزقيا ملك يهوذا بكل كبرياء .
فماذا يفعل حزقيا أمام جيش عظيم جداً ، وأمام تهديد سنحاريب .
شعر حزقيا بضعفه ، فمزق ثيابه ، وتغطى بمسح ، ودخل بيت
الرب ... وصلى إليه قائلاً : افتح يارب عينيك وانظر ، واسمع كلام
سنحاريب .. والآن يارب خلصنا من يده (٢مل ١٩ : ١ - ١٩) .
وأرسل حزقيا رسلاً إلى أشعيا نبي الرب . وشعور حزقيا يقول :
ارحمني يارب فأني ضعيف ...

فكانت كلمة أشعيا النبي إلى سنحاريب : من عيرت ؟ وعلى
من جدفت وعليت صوتاً ؟! وقد رفعت إلى العلاء عينيك على
قدوس اسرائيل!! (٢مل ١٩ : ٢٢) ... " وكان في تلك الليلة أن

ملاك الرب خرج وضرب من جيش آشور مائة ألف وخمسة
وثمانين ألفاً . ولما بكروا صباحاً إذا هم جثث هامة (٢مل ١٩ :
٣٥) . وبعد عودة سنحاريب إلى نينوى ، ضربه ابناه بالسيف
فمات.



كل هؤلاء الضعفاء وقفوا أمام الله، يتغنون بقول المزمور :
"جميع عظامي تقول يارب من مثلك؟ المنقذ المسكين ممن هو
أقوى منه ، والفقير والبائس من سالبه " (مز ٣٥ : ١٠) .
ذلك لأن كلاً من المسكين والفقير والبائس ، يقول من أعماقه :
ارحمني يارب، فإنني ضعيف " . أما الأقوياء فإنهم مساكين .
حتى الخطية لا تمسك إلا الأقوياء .

وهكذا يقول عنها الكتاب "إنها طرحت كثيرين جرحى، وكل
قتلها أقوياء" (أم ٧ : ٢٦) .

من أمثال هؤلاء الأقوياء : الذي لا يحترس من الخطية ،
ويقول: ليس لمثلي هذه الخطايا . إنها بسيطة، تحارب المبتدئين! أما
الضعيف فيحترس منها، ويقول : ارحمني يارب فإنني ضعيف . هذا
هو الذي يخلص ...



هناك عبارة كتبتها مرة في مذكراتي وهى :

قال الشيطان لله : اترك لى الأقوياء ، فإتنى كفىل بهم. أما

الضعفاء فإتنى أخافهم . لأنهم إذ يشعرون بضعفهم، يحاربوننى بقوتك أنت، فيقدرون على .

الضعيف الذى يصرخ لك قائلاً فى كل حين: ارحمنى يارب

فإنى ضعيف ... فهذا لا أقدر عليه . لأنه كلما يصرخ تأتى أنت وتقف بجانبه ، وتحارب عنه ، فلا أقدر عليه .



داود كان دائماً يصرخ إلى الرب ليحميه من الأقوياء .

فيقول " بنارب بإسمك خلصنى ، فإن الأقوياء قاموا علىّ ،

والأعزاء طلبوا نفسى " (مز ٥٤ : ١ ، ٢) وأنا ليس أمامى إلا أن

أقول : " ارحمنى يارب فإننى ضعيف " .. ذلك لأن الرب أقوى من جميع الأقوياء .

الله ضد الأقوياء المعتزين بقوتهم ، أو الشاعرين بقوتهم، أو

المعتمدين على قوتهم .



أنظروا ماذا يقول الرب فى سفر عاموص : "وأنا قد أبدت من

أمامهم الأمورى، الذى قامته مثل قامة الأرز . وهو قوى كالبلوط.

أبدت ثمره من فوق، وأصوله من تحت" (عا ٢: ٩) .

من غير المعقول ، أن يبحث الله عن المساكين ليبيدهم ، بل يبيد أولئك المرتفعين بقامتهم إلى السماء .

عند بناء الهيكل ، كان زربابل محتاجاً إلى معونة الله. لذلك وصلت إليه المعونة الإلهية في سفر زكريا النبي تقول :
"لا بالقدرة ولا بالقوة ، بل بروحي قال رب الجنود " .

"من أنت أيها الجبل العظيم ؟! أمام زربابل تصير سهلاً"
(زك ٤ : ٦) .

من هنا تأتي القوة للإنسان الضعيف ، من عند رب الجنود.
وهكذا يقول أيوب الصديق للرب "كيف أعنت من لا قوة له،
وخلصت ذراعاً لا عز لها" (أى ٢٦ : ١) .



في صلواتك أيها الإبن المبارك ، حينما تصل إلى عبارة
"ارحمنى يارب فانى ضعيف" .

ادخل إلى داخل نفسك ، وحطم أصنامك المنصوبة في هيكل
ذاتك .

وأول صنم تحطمه ، هو ذاتك . ذاتك الكبيرة الضخمة القوية في
عينيك، الجميلة في عينيك، التى تستطيع أن تقتدر ، وتستطيع أن

تعمل وأنت تتفد ، وتستطيع أن تضرب وتعتدى .. حطم ذاتك
حطمها ...

وحينما تتحول ذاتك إلى تراب ورماد، حينئذ يقف الله إلى
جوارك.

وحينما يقف الله إلى جوارك ، إهمس فى أذنيه بهذه الأنشودة
الجميلة "ارحمنى يارب فانى ضعيف" ..

مثال أيوب

أيوب النبى العظيم ، حينما كان معتزاً ببره وعظمته ، ألقى إلى
التجارب والضربات .. عندما كان يغنى ويقول : ليتنى كنت كما
فى الأيام السالفة "إذ غسلت خطواتى باللبن ، والصخر سكب لى
جداول زيت . حين كنت أخرج إلى الباب وأهيب فى الساحة
مجلسى .. صوت الشرفاء اختفى ، ولصقت ألسنتهم بأحناكهم . لأن
الأذن سمعت فطوبتتى . والعين رأت فشهدت لى .. لبست البر
فكسانى . كجبة وعمامة كان عدلى " (أى ٢٩ : ١ - ١٤) .
وحينما يقول أيضاً فى اعتزازه بقوته وعدله "هشمت أضراس
الظالم، ومن بين أسنانه خطفت الفريسة " (أى ٢٩ : ١٧) ... وحينما
كان يكرر عبارة "أنا" "أنا" ...



عندما كان أيوب يقول هذه العبارات ، توبخ من الرب ، لأنه كان باراً في عيني نفسه " (أى ٣٢ : ١) (أى ٣٨ : ٢) .

ولكنه أخيراً رفض ذاته ، وقال للرب : "الآن .. أرفض وأندم في التراب والرماد " (مز ٤٢ : ٦) .. لما وصل للتراب والرماد ، حينئذ رفع الرب عنه التجربة .. " وردّ الرب سبى أيوب ، وأزاد على كل ما كان له ضعفاً " (أى ٤٢ : ١٠) .

لأنه لما وصل إلى التراب والرماد ، وصل في نفس الوقت إلى قول داود : إرحمنى يارب فإنى ضعيف .

قديماً كانت له مهابته وعظمته التى قال فيها " رآنى الغلمان فاخترأوا ، والأشياخ قاموا ووقفوا . العظماء أمسكوا عن الكلام ، ووضعوا أيديهم على أفواههم " (أى ٢٩ : ٨ ، ٩) . أما الآن فإنه تراب ورماد .. وصل أخيراً إلى حقيقته .



نصحتى لكل إنسان : انس قوتك . انس العظمة التى أنت فيها ، أو التى تشتهيها .

إن أعطيت سلطة لا تستخدمها ، أعنى لا تستخدمها الإستخدام الذى يرفع نفسك .

لا تقوَ على غيرك . لا تضع أحداً تحت قدميك . لا تتكبر على

أحد. لا تحاول أن تغلب باستمرار وأن تنتصر كل حين، وفي كل مجال تظهر شخصيتك وقوتك .. لا تذل أحداً .. بل اتضع أمام كل أحد. وقل أمام الله كما قال داود ارحمني يارب فإنى ضعيف .

ضعف داود ومذلتة

في الواقع أن داود النبي ، كان في مزاميره يتكلم كثيراً عن ضعفه ومذلتة ، وبخاصة أمام قوة أعدائه وجبروتهم ...

ليس في هذا المزمور السادس فقط ، وإنما في كثير غيره . فهو في آخر مزمور من مزامير صلاة باكر يقول :

" إن العدو قد اضطهد نفسي، وأذل في الأرض حياتي . أجلسني في الظلمات مثل الموتى منذ الدهر .. انقذني من أعدائي يارب، فإنى لجأت إليك ... بحقك تخرج من الشدة نفسي [مز ١٤٢ (١٤٣)]
إنه لا يقف أمام الله كقوى منتصر على أعدائه، بل يقف كضعيف يواجه خطورة أعدائه . أعداؤه اضطهدوه وأذلوه وأجلسوه في الظلمات مثل الموتى .



فماذا تستفيد أنت من هذه المزامير ؟ كيف تطبقها في حياتك ؟

وبأى معنى ؟ وماذا تعنى بكلمة أعدائك ؟

إما تطبقها فى المعاملات ، وأعداؤك هم خصومك ومقاوموك .
أو فى حياتك الروحية ، وأعداؤك هم الشياطين والأفكار
والشهوات .

العدو - عدو الخير - اضطهد نفسى . أطال حربه علىّ ،
وأذلى بالسقوط فى الخطايا ، وبعدم قدرتى على مقاومته . وأجلسنى
فى الظلمات . والظلمة هى حياة الخطية ، هى البعد عن النور
الحقيقى . هى التى أحبها الناس أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت
شريرة " (يو ٣ : ١٩) . والذين يعيشون فى هذه الظلمة ، نهايتهم أن
يُطرحوا فى الظلمة الخارجية (مت ٨ : ١٢) حيث البكاء وصرير
الأسنان (مت ٢٥ : ٣٠) .

إنه الموت الروحى (لو ١٥ : ٢٤) (رؤ ٣ : ١) ، الذى يقود إلى
الموت الأبدى . وهو مصير الذين يجلسون فى الظلمات ، فيكونون
مثل الموتى إلى الدهر .



هكذا يتكلم داود عن قوة أعدائه الذين أذلوه . ويقول عنهم فى
[مز ١٩ (٢٠)] "هؤلاء بمركبات ، وهؤلاء بخيل . ونحن باسم الرب
ننمو" .. أنا لست مثل هؤلاء الأقوياء ، أصحاب المركبات - كما
كان فرعون بمركباته - ولكننى باسم الرب أنمو ، كما دخلت على

جليات باسم رب الجنود (اصم ١٧ : ٤٥) .



وفى أول مزمور من مزامير الساعة السادسة ، نقول مع داود
"استمع يا الله صلاتى .. فإن الغرباء قد قاموا علىّ، والأقوياء طلبوا
نفسى. ولم يجعلوا الله أمامهم " [مز ٥٣ (٥٤)]

هؤلاء الغرباء عن ملكوتك، والأقوياء بكل أسلحة عدو الخير.
هؤلاء طلبوا نفسى ليهلكوها. ولم يجعلوك أمامهم. أما أنا فقد جعلتك
أمامى فى كل حين. لأنك عن يمينى فلا أترزع (مز ١٦ : ٨) .
إن قوة أعدائى ، أضع أمامها قوة الله .



يتابع داود حديثه عن قوة أعدائه فيقول فى ثانى مزمور من
مزامير الساعة السادسة " أرسل الله رحمته وحقه، وخلعى نفسى
من بين الأشبال، إذ نمت مضطرباً " [مز ٥٦ (٥٧)] ... خلص الله
نفسه من بين الأسود، وهو مسكين نائم وهو مضطرب وخائف ..
ويستطرد فى نفس المزمور فيقول "أسنان أبناء البشر سلاح
وسهام، ولسانهم سيف مرهف.. نصبوا لرجلى فخاخاً، وأحنوا
نفسى. حفروا قدام وجهى حفرة، فسقطوا فيها" .

إننى كلما أذكر قوة أعدائى يارب ، وتأمّرهم علىّ ، إنما أذكر

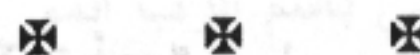
مع ذلك أيضاً تدخلك لإنقاذى .

سوف أنسى لسانهم الذى يتقولون به علىّ ، فى عنف السيف
المرهف. وسوف أنسى الفخاخ التى نصبوها أمامى لكى يصطادونى
بها. وسوف أنسى الحفرة التى حفروها أمامى لأسقط فيها .. ولكننى
سأذكر فقط رحمتك التى جعلتهم يسقطون فيما حفروه لى من حفر..



بل إن داود يشرح مدى عنف أعدائه وإحاطتهم به كالنار ،
فيقول فى مزمور ١١٧ (١١٨) [من مزامير الغروب] :
"أحاطوا بى احتياطاً واكتفونى .. أحاطوا بى مثل النحل،
والتهبوا كنار فى شوك ...

وماذا كان موقفك يا داود أمام كل هذه الخطورة ؟
يقول "دُفعت لأسقط ، والرب عضدنى .."
"يمين الرب صنعت قوة ، يمين الرب رفعتنى " .
"يمين الرب صنعت قوة ، فلن أموت بعد بل أحياء ، وأحدث
بأعمال الرب " .
لن أتحدث عن ضعفى ، ولا عن قوتهم ، بل عن عمل الرب
معى ، وإنقاذه وخلصه .



وهكذا فإن داود يختم حديثه عن قوة أعدائه وهجومهم القاسى عليه ، بتلك الأنشودة الجميلة :

" قوتى وتسبحتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً " .
ونحن نتذكر هذه العبارة العميقة فى دلالتها ، وننشدها فى أسبوع الآلام ، متذكرين فى كل ما تعرض له السيد المسيح من آلام وضيقات ، إنها صارت لنا قوة وخلاصاً ، نسبح الرب بها ، لأنه هو قوتنا وخلاصنا .



نتذكر لداود أيضاً مزموراً من مزامير صلاة الغروب، يقول فيه: "لولا أن الرب كان معنا، حين قام الأعداء علينا، لابتلعونا ونحن أحياء، عند سخط غضبهم علينا" [مز ١٢٣ (١٢٤) : ٢، ٣].. هل إلى هذه الدرجة كنت ضعيفاً أمامهم يا داود؟! وإلى هذه الدرجة كانوا أقوى منك؟!!

يجيب "مبارك الرب الذى لم يسلمنا فريسة لأسنانهم" ... كأنهم وحوش مفترسون إذن؟! نعم ، ولكن الله تدخل "نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا . عوننا باسم الرب الذى صنع السماء والأرض " ..
وكان داود يقول : ارحمنى يارب فأنى ضعيف . أنا مثل

عصفور صغير ومسكين ، واقع بين فخاخ الصيادين . لو لم
تدركنى رحمتك ، لوقعت فى أيديهم . صياد واحد يقدر على . فكم
بالأكثر عدد من الصيادين!!



يقول للرب أيضاً فى مزمور من مزامير صلاة النوم :
"بصوتى إلى الرب صرخت .. أبث لديه ضيقى ، عند فناء
روحى منى . وأنت علمت سبلى . فى الطريق التى أسلك أخفوا لى
فخاً . تأملت عن يمين وأبصرت . فلم يكن من يعرفنى . ضاع
المهرب منى ، وليس من يسأل عن نفسى . فصرخت إليك يارب"
[مز ١٤١ (١٤٢)] .



هذه الصلاة هى صراخ نفس فى ضيقة ، أمامها فخاخ العدو ،
وليس من مهرب ، وليس من يسأل عنها . المعين الوحيد هو
الله .

إذن طريق القديسين ليس سهلاً . إنه الطريق الكرب ، والباب
الضيق ، وهجمات العدو ، وكثرة العثرات والمتاعب والأحزان .
وهكذا يصرخ داود إلى الرب فى نفس المزمور "تجننى من الذين
يضطهدونى ، فإنهم قد اعتزوا أكثر منى" . إنه هنا يعترف بضعفه ،

وبأن أعداءه أقوى منه . لذلك يقول صرخت إليك يارب : نعم
وأصرخ وأقول : ارحمنى يارب فإنى ضعيف ...



لقد مسح الله ملكاً . ولكن الملك لم يكن سلطة وعظمة
وكرامة. وإنما "كثيرة هي أحزان الصديقين .. " (مز ٣٤ : ١٩) .
وقد أحس داود بكل هذه الضيقات التى تحيطه من كل جانب ،
كما أحس أيضاً بكثرة الأعداء فى حياته ، فقال :
"أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب" (مز ٦٩ : ٤) .



وهل اقتصر الأمر على بغضة هؤلاء لك ، ومشاعرهم الرديئة
من نحوك؟ كلا، بل قادتهم البغضة إلى الإعتداء . وهكذا يقول :
" على ظهري جلدنى الخطاة ، وأطالوا إثمهم " [مز ١٢٨
(١٢٩)] .

هذا هو داود ، الذى يقف أمام الله كمسكين : أعداؤه قد اعتزوا
أكثر منه، هو ليس فى مثل قوتهم ، كما أن عددهم أكثر من شعر
رأسه . وقد اضطهدوه ، وأطالوا إثمهم . طالت به المدة، وهو يجلد
على ظهره .. حقاً ، إنه يقف أمام الله كضعيف يطلب معونته ،
ويقول له ارحمنى يارب فإنى ضعيف .



ولكنه وهو واقع تحت اضطهاد هؤلاء الخطاة له ، يؤمن تماماً
- وبالخبرة - إن الله سيخلصه منهم ويقضى عليهم ، فيقول :

الرب صديق هو ، يقطع أعناق الخطاة .

بل يقول أيضاً " الرب لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب
الصديقين " [مز ١٢٤ (مز ١٢٥)] . يمكن أن يتعرضوا لضربات هذه
العصا من الخطاة. ولكنها لا تستقر عليهم ، أى لا يستمر الأمر
هكذا ، فلا بد أن يتدخل الرب ، وينزع هذه العصا .



ولكن متى ينزعها الرب؟ قد يتركها فترة طويلة ، من الألم
المريير الواقع من هؤلاء الخطاة الذين أطالوا إثمهم ، حتى يشكو داود
ويقول "متى تجرى لى حكماً على الذين يضطهدونى" " كثر على
ظلم المتكبرين " " كلت عيناى من إنتظار أقوالك ، متى تعزىنى؟ "
(مز ١١٩) إلى أن يصرخ فيقول :

"كادوا يفتنوننى على الأرض .." (مز ١١٩ : ٨٧) .

وفى ترجمة أخرى " لولا قليل لأفنونى من الأرض " ...

هذا هو داود ، الذى كان يقول فى المزمور " ارحمنى يارب فإنى

ضعيف " .



وأنت أية تأملات تجول فى ذهنك ، خلال ما يقوله داود عن
ضعفه فى المزامير ؟

يمكن أن تقف فى حروبك الروحية صارخاً إلى الله من قوة
جنود الشر الروحية ، التى اعتزت أكثر منك ...
جنود الشيطان الذين اضطهدوك بلا سبب ، وأطالوا إثمهم وكادوا
أن يفنوك من على الأرض .. تصرخ إليك من الأفكار القاسية
الملحة ، التى تريد إسقاطك ، وتطلب لنفسك لتهلكها .. وتقول فى كل
ذلك " إرحمنى ياربى فإنى ضعيف " .
سواء إن كنت محارباً بخطية ، وأنت غير قادر على مقاومتها ..
أو إن كنت فى ضيقة ، وأنت غير قادر على الخروج منها .. فى
كلتى الحالتين تقول مع داود " ارحمنى يارب فإنى ضعيف " .



إن داود بعد الخطية الكبرى التى وقع فيها (٢صم ١١) ، شعر
بضعفه بالأكثر . فى الأول كان يقال عنه إنه " جبار بأس " (١صم ١٦ : ١٨) . وغنت له النساء بالرقص والدفوف والفرح
قائلات " ضرب شاول ألوفه وداود ربواته " (١صم ١٨ : ٦ ، ٧) .. أما
الآن فلم تهزمه ألوف ولا ربوات ، بل امرأة واحدة " - ووقع فى
الخطية ، وانذل ...

فى الواقع إنه كما أذلتة الخطية، كذلك نقول إنه استفاد أيضاً من هذا الذل .
لهذا نراه يقول فى المزمور الكبير "خير لى يارب أنك أذللتنى، حتى أتعلم حقوقك" (مز ١١٩ : ٧١) . فما هو الخير الروحى الذى حصل عليه ؟
أولاً بدأ يشعر بضعفه ، وهذا لون جميل من إتضاع النفس .
وهكذا يقول فى مزموره السادس "إرحمنى يارب فإنى ضعيف" ضعيف ، وفى حاجة إلى رحمة من الله .

نفسى قد انزعجت

وماذا يقول بعد ذلك ؟ يقول :
اشفنى فإن عظامى قد اضطرب ، ونفسى قد انزعجت جداً .
بدأ يشعر أنه مريض ، جسداً وروحاً ، فالخطية ونتائجها لها تأثير على كليهما . فمن جهة الجسد يقول :
فإن عظامى قد اضطربت : لو ارتعش الجسد، لكان الأمر سهلاً. أما أن تضطرب العظام الصلبة القوية ، البنيان الهيكلى الجبار، فإن هذا يدل على أن جسده كله على وشك الضياع
وليس جسده فقط ، بل يقول " ونفسى قد انزعجت جداً " ...



انزعاج النفس كان تعويضاً وردّ فعل للذة الخاطئة التي نالتها
نفسه من الخطية ...

إن الخطية ليست مجرد تحقيق لشهوة الجسد، إنما لها رد فعل
عنيف على النفس فيما بعد ، حينما يستيقظ الضمير النائم ، وحينما
يقول له ناثان النبي "أنت هو الرجل .. " . "لماذا احتقرت كلام
الرب ، لتعمل الشر في عينيه .. " " قد جعلت بهذا الأمر أعداء الله
يشمتون .. " (٢صم ١٢ : ٧ - ١٤) .

وهكذا حينما أدرك عمق خطيته ، بدأت نفسه تتعب وتنزعج ..
وصار يبكي ويتهدد ، بل يقول " تعبت في تنهدي " ...

إلى متى

ولم يكتف بهذا ، بل في عمق تعبهِ النفسى ، قال للرب :
" وأنت يارب فبالى متى ؟ عُذ ونج نفسى، وإحبنى من أجل
رحمتك " .

عبارة " أحبنى " تعنى أنه فى نظر نفسه ميت .. طبعاً يقصد بهذا
الموت الأدبى والموت الروحى . كما قال الأب فى عودة إينه
الضال " إبنى هذا كان ميتاً فعاش " (لو ١٥ : ٢٤) ، وكما قال
الرب لملاك كنيسة ساردس " إن لك إسماً إنك حيّ ، وأنت ميت "

(رؤ ٣: ١) .

إذن داود فى وصف نفسه : ضعيف ، ومريض ، عظامه مضطربة منزعة ، وتعبان ، ومتهد ، وبالك وميت ...



تركه الله حتى استوى ، حتى امتلأ كأسه ، وذلت نفسه ، .
انفتحت عيناه أخيراً ، وانكشف عنه الغطاء ، وشعر بحقيقة ذاته ،
فإذا هو لا شئ قدام نفسه .. رأى نفسه ضعيفاً ومريضاً ومحتاجاً
إلى رحمة الله .. لقد تغير حاله عن ذى قبل .. رفع الغطاء عن
الجبار ، فإذا هو فى الموازين إلى فوق (مز ٦٢ : ٩) . أين جبار
البأس ؟! إن مجرد نظرة ألقاها على جارته من فوق سطح بيته
(٢صم ١١ : ٢) ، إنهار أمامها كل بنيانه . حقاً إن الإنسان لا شئ "
إنما نفخة كل إنسان قد جعل .. " (مز ٣٩ : ٥ ، ١١) .. مجرد
منظر ...



أين ذلك الجبار ، رجل الحرب ؟! أين رجل المزمارة والقيثار ؟!
أين العود الذى كان يضرب عليه ، فيهدأ شاول حينما يفتح له الروح
الردئ ؟! أين رجل الصلوات الذى مازلنا نتعلم الصلوات من
مزاميره ؟! أين .. أين ؟ لقد بقيت منه عظام مضطربة ، ونفس

منزعجة ، وصوت يصرخ إلى الله ويقول :

وأنت يارب إلى متى ؟ عُد ونجّ نفسي ...

إلى متى أظل في هذا التعب الداخلي ، وهذا الحزن الذي يحاصرني ؟ إلى متى أظل في صغر النفس ، والشعور بالخسة والعار؟! وذكريات الخطية تتعبني .. إلى متى تتركني هكذا؟ عُد ونجّ نفسي . امنحني بهجة خلاصك . انضح على بزوفاك فأظهر . إغسلني فأبيض أكثر من الثلج" .. إحييني من أجل رحمتك ..



"نفسى قد انزعجت جداً" أى أنه فقد سلامه الداخلى .

لأن الخطية لا يمكن أن يكون معها سلام .. "لا سلام - قال الرب - للأشرار" (أش ٤٨ : ٢٣) . أين يا داود تسابيحك وأغانيك؟! أين قيثارتك الحلوة ؟ .. لقد علقت قيثارتى على أوراق الصفصاف . كيف أصبح تسبحة الرب فى أرض غريبة؟! (مز ١٣٧ : ٢ ، ٤) ... الخطية جعلتني فى حالة غربة عن الله ...



"نفسى قد انزعجت جداً" . حقاً إن آلام النفس أصعب من آلام الجسد .

لذلك يقول للرب : عُد ونجّ نفسي . عُد أنت إلهى، إن كنت لم

أعد إليك.. ونجّ نفسي، لأن نجاتها في يدك أنت وحدك .. أنت
الوحيد الذى تستطيع أن تعزّينى . لأننى أعرف جيداً أنى "إليك
وحدك قد أخطأت ، والشر قدامك صنعت. فأحبنى من أجل رحمتك.
وصل داود إلى إسحاق النفس ، فوصل بذلك إلى الله .



ووقف أمامه يتكلم معه بصراحة ، ويشرح له حاله بعد الخطية.
ويطلب رحمته . ويقول له "وأنت يارب إلى متى ؟".
أنا يارب قد سقطت . ولكن أنت ؟ أين أنت منى ؟
لماذا يعيرونى قائلين : أين هو إلهك ؟! (مز ٤٢ : ١٠) .

أنا مهما بعدت عنك ، أنت لا تبعد عني . ومهما كنت ضعيفاً ،
أنت الذى تسند ضعفى . وإن كنت ساقطاً ، أنت الذى تقيمنى من
سقطتى . وإن كانت الخطية قد أهلكتنى ، عُدّ ونجّ نفسى، وأحبنى
من أجل رحمتك . كرحمتك يارب وليس كخطاياى .



نحن إنما ندخل إلى قلب داود ونتخيل مشاعره ...
هو لم يقل هنا : إلى متى يارب تنساني (مز ١٣ : ١) ولا إلى
متى يارب تقف بعيداً ، إلى متى تختفى فى وقت الضيق (مز ١٠ :
١) ... إنما فى هذا المزمور قال إلى متى .. وسكت !! غلبه التأثر

فلم يكمل العبارة .. أنت يارب فاهم ما أقصد ...
الذى أنتظره يارب منك أن تتدخل . لا تتركنى .
لا تتركنى لنفسى الضعيفة ، ولا تتركنى لأعدائى الأقوياء . ولا
تتركنى لعظامى المضطربة ، ولا إلى نفسى المنزعجة .
يقول له : إلى متى ؟ لأنه قد طال الزمان ، وثقل الهم . وشعر
داود بالاحتياج إلى الله .



إن الله فى الحقيقة: أحياناً يستجيب بسرعة، وأحياناً يبطئ !
له حكمته فى الإستجابة السريعة ، وله حكمته فى الإبطاء .
من جهة الإستجابة السريعة ، يعطينا مثلاً عجيماً فى (أش ٦٥:
٢٤) إذ يقول الرب "ويكون إني قبلما يدعون، أنا أجيب، وفيما هم
يتكلمون بعد أنى أنا أسمع " ...

قبلما يطلبون الطلب ، أنا أجيبهم إليه .. حقاً هذا عجيب . ولكنه
ليس عجيباً على الله الذى كثيراً ما يعطينا قبلما نطلب .
ويقول "فيما هم يتكلمون بعد " أى قبل أن يكملوا كلامهم ، إني
أنا أسمع .. لأنى أسمع ما فى القلب ، قبل أن يفوه به اللسان ...



لعلك يارب تستجيب هكذا بسرعة للأبرار الذين لم يخطئوا إليك،

أو لمن لم يغضبوك بأفعالهم . أما أنا فلست من هؤلاء . أنا أستحي
من أن أرفع وجهي إليك . لذلك عظامي قد اضطربت ونفسي قد
انزعجت جداً .. لذلك قد صبرت على . فإلى متى يارب ؟

لعله توجد في عينيك يا داود بعض دموع مخزونة في عينيك،
أريد أن أعصرها فتسقط . ربما توجد بعض تهديدات لم تتأوه بها
بعد... ربما يوجد بعض انسحاق . أنت محتاج إليه لتكمل به توبتك.
لذلك أنا صبرت عليك .. صبرت حتى تقول "أعوَم في كل ليلة
سريري، وبدموعي أبل فراشي

إلى متى يارب ؟ إلى متى أسلك كئيباً من مضايقة عدوى
(مز ٤٢ : ٩) من مضايقة أولئك الذين يحزنونني قائلين : ليس له
خلاص بإلهه (مز ٣) .. ربما يكون السبب منك أنت يا داود .



الله دائماً يتدخل في الوقت المناسب . قد نظن نحن أنه أبطأ .
ولا يكون الأمر هكذا .

عُدَّ وَنَجَّ نَفْسِي

عُدَّ وَنَجَّ نَفْسِي .

كونه يطلب من الرب أن يعود ، معناها أنه شاعر بالتخلي،

شاعر أن الله قد بعد عنه ، فارقه ، وقد اغترب هو عن الله . وأن الله لا يعمل معه . لذلك يقول :

عُد ونجّ نفسى . عظامى المضطربة ، فلتبق مضطربة . فليس الجسد هو الذى يتعبنى بالأكثر . ولكن ماذا عن نفسى المنزعجة جداً . أعطها شيئاً من السلام ، وشيئاً من التعزية ، ولا تترك نفسى هكذا فى انزعاجها .

إنك فى تجربة أيوب الصديق ، سمحت للشيطان أن يضرب جسده ، ولكنك منعتك من جهة نفس أيوب فلا يمسه ... (أى ٢ : ٦) . وأنا نفسى قد انزعجت جداً . عُد ونجّ نفسى



إنه شاعر بالتخلّى وبالغربة عن الله ، وكأنه يقول له :

أين يارب محبتك الأولى ؟ أين تعزياتك القديمة ؟

أين وجهك ، لماذا صرفته عني ، فصرت قلقاً .

ولعل هذا ما شعر به أيوب أيضاً فى وقت مذلتة ، فقال : "يا

ليتنى كما فى الشهور السالفة ، وكالأيام التى حفظنى الله فيها .

حين أضاء سراجہ على رأسى ، وبنوره سلكت فى الظلمة ورضا

الله على خيمتى .. إذ غسلت خطواتى باللبن ، والصخر سكب لى

جداول زيت ... " (أى ٢٩ : ٢ - ٦) .

هكذا داود يقول : عُدْ يارب .

عُدْ إلى علاقتك معي ، كالأيام التي اخترتني فيها من بين كل أخوتي ، وأرسلت صموئيل النبي ليسكب عليّ من دهن المسحة ، فيحل عليّ روحك القدوس (اصم ١٦ : ١٣) ... والآن عُدْ ونجّ نفسي وأحييني

✠ ✠ ✠

بين كل حين وآخر يقول : يارب .. لأنه لو لجأ إلى أحد آخر لا يجد عوناً ، ولا عزاء ولا رجاء .
وهذا كان منهج داود باستمرار . إنه يقول في مزمور آخر "الرب لي معين ، وأنا أرى بأعدائي . الإتكال على الرب خير من الإتكال على البشر . الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء" (مز ١١٨ : ٧ - ٩) .

✠ ✠ ✠

إنه يقول للرب (أحييني) . فلماذا ؟ يقول :
" لأنه ليس في الموتى من يذكرك ، ولا في الجحيم من يعترف لك " .

وأحييني من أجل رحمتك

وأحييني من أجل رحمتك .

نعم ، من أجل رحمتك . وليس من أجل استحقاقى ، ولا من
أجل توبتى ، ولا من أجل صلاتى ، ولا من أجل دموعى . أحنى
من أجل رحمتك . من أجل أنك حنون وطيب .

إنها حجة قوية يتمسك بها داود ، وهى رحمة الله ...

لو أن داود تمسك باستحقاق توبته ، لقال له الله : إنك لا تستحق
شيئاً . فخطيتك موجهة ضد الله ، فتصبح بذلك غير محدودة .

ومهما تبت فتوبتك محدودة ...

لكنه حينما يتمسك برحمة الله ، فالله رحمته واسعة . وداود
يدرك هذا تماماً . فحينما خير بين ثلاث عقوبات ، بعدما أخطأ وعدّ
الشعب ، قال داود " أقع فى يدى الله ، ولا أقع فى يد إنسان ، لأن
مراحم الله واسعة " (٢ صم ٢٤ : ١٤) .



يقول له : وأنت يارب ، فإلى متى ؟

كلمة (يارب) كررها كثيراً فى هذا المزمور :

يقول : يارب لا تبكتنى بغضبك ...

ارحمنى يارب فإنى ضعيف .

اشفنى يارب فإن عظامى قد اضطربت .

وأنت يارب ، فإلى متى ؟

وفى آخر المزمور يقول : لأن الرب قد سمع صوت بكائى .
الرب سمع تضرعى . الرب لصلاتى قبل ...
سبع مرات فى مزمور يضم عشر آيات فقط .
حقاً إن "إسم الرب برج حصين ، يركض إليه الصديق ويتمنع"
(أم ١٨ : ١٠) .

الله دائماً يتدخل فى الوقت المناسب . نظن نحن أنه أبطأ ، ولا
يكون الأمر كذلك .

ونظن أن الله قد نسينا ، أو أنه قد اختفى عنا . ويصرخ القلب
قائلاً "اسرع وأعنى" (مز ٧٠ : ١ ، ٥) . بينما ما نراه إبطاءً ، ما هو
إلا إنتظار الوقت المناسب للعمل من أجلنا .
كان الشعب يئن من نير العبودية ، وكان الله يرى ويشفق .
ولكنه يصبر ويقول لا أخرجكم الآن ... لماذا ؟ لأن "كأس
الأموريين ليس كاملاً" (تك ١٥ : ١٦) . لم يمتلئ بعد كأس الغضب
على أعدائكم . سيأتى الوقت الذى أطردهم أمامكم ، وبالنسبة إليهم
فى استحقاق وعدل . وحينئذ تكون "كل الأشياء تعمل معاً للخير
للذين يحبون الله" (رو ٨ : ٢٨) .



نقول له : وأنت يارب إلى متى ؟ ونحن واثقون تماماً أنه لا بد

سيأتى ...

ولو فى الهزيع الرابع من الليل (مت ١٤ : ٢٥) ، ولو فى اليوم الرابع لموت لعازر (يو ١١ : ١٧) . إنه سيأتى . سيأتى سريعاً ولا يبطئ (رؤ ٣ : ١١) . إذن " انتظر الرب ، تقوّ وليتشدد قلبك ، وانتظر الرب " (مز ٢٧ : ١٤) . ليس بنفس منزعة ، وإنما تقوّ . كن متشجعاً . تقوّ بالإيمان .



يتابع داود مزموره ، فيقول للرب :

ليس فى الموتى من يذكر

فى وسط الخطية والتعب ، بدأ يذكر الموت . فإن تذكّر الموت مفيد بلاشك ...

إنه يريد أن يطمئن على أن الرب قد أحياء (روحياً) قبل أن يموت . كثير من الناس يقولون نريد أن نموت . ولكن المهم أن يطمئن الإنسان على مصيره الأبدى قبل أن يموت . هل هو مطمئن على نفسه : إن مات ، إلى أين يذهب ؟!



من هو الذى يشتهى الموت ؟ إنه الإنسان الذى يستطيع أن يقول

مع القديس بولس الرسول :
لى إشتهاء أن أنطلق ، وأكون مع المسيح . ذاك أفضل جداً " (فى ١ : ٢٣) .

هذا يعرف أنه بعد الموت سيكون مع المسيح . سيكون معه فى الفردوس (لو ٢٣ : ٤٣) . لذلك رأى أن ذاك أفضل جداً .
أما داود فكان لا يزال يخاف من الموت . لذلك يقول : ليس فى الموتى من يذكرك ولا فى الجحيم من يعترف لك ...

أنا أريد أن أذكرك الآن ، وأعترف لك الآن ، قبل أن أموت .
إننى أميل من جهة عبارة "ليس فى الموتى من يذكرك" أن يكون المقصود هو الموتى بالخطايا ...

وعن هذا قال الرسول "كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا، التى سلكتم فيها قبلاً" (أف ٢ : ١) . لذلك فإن داود يقول :
إحبنى .. لأنه ليس فى الموتى من يذكرك .

أعطنى أن أكون حياً فىك ، أى أنقذنى من الموت ، موت الخطية، ومن الخطية التى أجرتها الموت (رو ٦ : ٢٣) .

فإن صرت حياً فىك ، سأحيا إلى الأبد، لأنه ليس فى الموتى من يذكرك . الأموات بالخطايا لا يذكرونك هنا على الأرض ، لأن لها مشاغل أخرى تلهيهم عنك . وأيضاً حينما يذهبون إلى الجحيم ، لا

يعترفون لك .



هنا ، ونذكر أنواعاً من الموت .

أولاً موت الجسد ، وهو انفصال الجسد عن الروح .

ثانياً : الموت الأدبي ، وهو فقدان الصورة الإلهية ، فقدان

الطابع الروحي ، الذى يميز أولاد الله عن أهل العالم ، الذى قال

عنهم الرسول "بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد ابليس [ظاهرون]"

(١يو ٣: ١٠) .

ثالثاً : الموت الروحي ، وهو انفصال الروح عن الله . وهذا ما

قصده الرسول بعبارة "أموات بالخطايا" (أف ٢: ١ ، ٥) .

رابعاً : الموت الأبدى هو الهلاك الأبدى ، الذى قال عنه الرب

فى مصير الأشرار " فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى " (مت ٢٥:

٤٧) . هو الإلقاء فى بحيرة النار والكبريت (رؤ ٢٠: ١٠) ... فى

الظلمة الخارجية حيث البكاء وصرير الأسنان (مت ٢٥: ٣٠) .



✠ الذين ينتهون إلى الموت الأبدى ، هم الذين قال عنهم الرب

"تموتون فى خطاياكم . وحيث أمضى أنا ، لا تقدر أنتم أن

تأتوا" (يو ٨: ٢١) . هؤلاء لا يذكرون الله ولا يعترفون له ، وهم

فى ظلمتهم الخارجىة ، التى هى خارج عشرة الله وقديسيه ، حيث هم فى بحيرة النار والكبريت .

✠ والذين فى الموت الأديى ، أو فى الموت الروحى ، فهؤلاء لا يذكرون الله أيضاً ولا يعترفون له ، لأنهم فى حياة الخطية . لكن أمامهم فرصة للتوبة وهم على الأرض . فإن تابوا ، ينطبق عليهم قول الأب : " إبنى هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجد " (لوقا : ١٥ : ٢٤) .

والتوبة بالنسبة إليهم ، تعتبر قيامة من الموت ، موت الخطية . ✠ أما موت الجسد ، فحسب نوعيته تكون الصلة بالله . إن مات الإنسان وهو فى حالة خطية ، تنطبق عليه عبارة "ليس فى الموتى من يذكرك ... " .



أما الذى يموت فى بره ، فتتطبق عليه صلوات الكنيسة عنه ، قائلة للرب :

لأنه ليس موت لعبيدك ، بل هو إنتقال .

هؤلاء فى موتهم يذكرون الله ويعترفون له ،

لأنهم يكونون معه فى الفردوس ، ثم فى الملكوت .

وطبعاً هؤلاء _ بعد الموت _ يسبحون الله ويعترفون له

بأرواحهم ، التى تكون حية بعد الموت . أما الجسد فيتحول إلى تراب ، وليس فى تلك الأجساد المائتة تسبيح لله ، إلا بعد القيامة ، حينما تقوم أجساداً روحانية سماوية (١كو ١٥ : ٤٤ ، ٤٩) . حينئذ تذكر الله وتعترف له بعد أن تتحد بأرواحها .



هذا الموت بالجسد - فى بر - يمتدحه الرسول ، فيقول عنه الرسول "لى الحياة هى المسيح . والموت هو ربح " (فى ١ : ٢١) . ويقول أيضاً "عالمون ونحن مستوطنون فى الجسد ، فنحن متغربون عن الله ، لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان . فنثق ونسرّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ، ونستوطن عند الرب " (٢كو ٥ : ٦ - ٨) . إنه يسرّ بالموت ، إذ يتغرب عن الجسد ، ويستوطن عند الرب . أما أنت ففى صلاتك ، حاول أن تصل إلى عشرة مع الله ، قبل أن تموت .



بعد أن يتذكر داود الموت ، وكيف أن الموتى لا يذكرون الله ولا يعترفون له ، يقول للرب .

تعبت فى تنهدى

"تعبت فى تنهدى . أعوم فى كل ليلة سريرى .. " .
إنه يتنهد بصعوبة . لأنه عملياً الذى يتنهد كثيراً ، يأتى عليه
وقت يتعب فيه من التنهد ، ويصبح غير قادر عليه ...
قيل مرة عن داود وأصحابه ، حينما أحرق العمالقة مدينة
صقلع ، وسبوا النساء وأخذوا الرجال والأطفال أسرى ... أن داود
وأصحابه "رفعوا أصواتهم وبكوا . حتى لم يتبق لهم قوة للبكاء "
(اصم ٣٠ : ٤) .. تعبير صعب ...

حقاً قد يبكى الإنسان ، ويكثر من البكاء ، حتى يأتى عليه
وقت : يتعب فيه من البكاء ، ولا تبقى فيه قوة على البكاء !!
هكذا فعل داود .. تنهد على خطاياها ، حتى تعب من تنهده .
تذكر شهوته وزناه ، تذكر كيف احتال على أوريا الحثى أن يذهب
إلى بيته ، لكى يغطى هو على خطيته . وكيف كان الرجل أنبل منه
وأسمى (اصم ١١ : ١٠ ، ١١) . وتذكر كيف احتال لكى يقتل أوريا
فى الحرب ، لكى لا يعمل بما حدث . وقتل أوريا فعلاً .

وتذكر كيف أنه لم يبال بتسببه فى قتل أوريا ، بل أرسل إلى
يوآب رئيس الجيش يقول له " لا يسؤ فى عينيك هذا الأمر . فإن

السيف يأكل هذا وذاك " (٢صم ١١ : ٢٥) .

بكاء داود

لقد بكى داود . ولكنه لم يبك طلباً للمغفرة ، وإنما بعد أن نال
المغفرة !

لقد قدم توبة والتوبة تغفر الخطية . ولكن هذه المغفرة لا تمنع
من أن الخطية قد أرتكبت وتم الأمر ، ولها آثارها النفسية التي قد
لا يستطيع الإنسان أن يتلافها ...

بالنسبة إلى داود ، كان قد نال المغفرة عن خطيئته من قبل ،
حينما شرح له ناثان النبي عمق تلك الخطية ، فقال داود "أخطأت
إلى الرب" . ويقال له ناثان "الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك ، لا
تموت" (٢صم ١٢ : ١٣) ، أى نقلها إلى حساب المسيح ليمحوها
بدمه ، وتغفر لك ، فلا تموت . إذن لماذا بكى داود ؟

لقد بكى تأثراً وحزناً ، إذ قد نزل إلى ذلك المستوى الذى فعل
فيه كل ما فعل ...

لقد حزن لأنه أغضب الله . وأيضاً لأنه أحزن الروح القدس
الذى حلّ عليه يوم مسحته .. حزن أيضاً لأنه فقد سموه ، وفقد
نقاوته ، وفقد بره وعفته وطهارته ، وفقد نبله وانحدر مستواه

الروحي ...

من جهة المغفرة ، قد غفرت الخطية . ولكن في نفسه صوتاً يقول : كيف أفعل كل هذا؟! أين كان عقلي ؟ وأين كان ضميري؟! وهكذا كانت خطيته أمامه في كل حين " (مز ٥١) ، لا تفارق ذاكرته ولا تفارق مخيلته ، تذكره بأنه فقد الصورة الإلهية التي له . ولم يحتفظ بكرامة المسحة التي نالها من الروح القدس ، فتضطرب عظامه ، ونفسه تنزعج جداً .



إنه يقول : أعوم كل ليلة سريري . وبدموعي أبل فراشي . ولماذا يعوم سريره كل ليلة ، وليس بالنهار ؟ في النهار مشغول عن نفسه بأشياء كثيرة .. مشغول بأمور الملك والجيش والقضاء ، والتعامل مع الناس ومع الشعوب المقاومة له . مشغول بأعباء المملكة ، وليس لديه وقت للبكاء على خطايا . بل ولا يخطر ذلك على فكره ... أما بالليل ، حينما يخلو إلى نفسه بعيداً عن دوامة العمل . وإذا ينفرد بنفسه ، يحاسب نفسه كثيراً ، فيتذكر خطايا ويكي ..



ويقول أعوم كل ليلة سريري ، وبدموعي أبل فراشي ...

لو قال أعوم الوسادة بدموعى ، لكان الأمر معقولاً .. ولكنه
يقول أعوم سريرى . أبل فراشى .

وهذا يدل على كثرة البكاء الذى لا ينقطع ، الذى لا يبل وسادته
فحسب ، بل فراشه كله ، ويعوم سريره بالدموع ... إنه بكاء غير
عادى ، من دموع لا تهدأ ولا تقف عند حد ... كل جزئية من
تفاصيل خطيته تحتاج إلى بكاء . وعلى فراشه خطيته أمامه فى كل
حين (مز ٥١) .



نعم هذا هو داود الباكى فى لياليه ، الذى يقول :

" فى المساء يحل البكاء .. " (مز ٣٠ : ٥) .

إنها فترة هادئة يقضيها مع نفسه ، بعيداً عن دوامة العمل
والمشغوليات ، يصلى ويتأمل ، ويتذكر خطاياها فيبكي .

حينما تتذكر بكاء داود اسأل نفسك : هل لك بكاء على خطاياك

مثل بكائه ؟!



إنه يقول أيضاً بعد ذلك :

تعكرت من الغضب عيناى .. شاخت من سائر أعدائى .

وفى ترجمات أخرى "تعكرت من الغم عيناى" . والقصد واحد :

سواء حزنه على حالته ، أو غضبه على نفسه ، أو غضب الله ، بسبب كل هذا "تعكرت عيناه" .

أى أنه بسبب الحزن والبكاء ، ومن الغضب الذى ثار فى صدره ضد ما ارتكب من خطايا ، تعكرت عيناه ، وأدركتهما الشيخوخة فى غير وقتها . وهذا واضح الحدوث ...

الدموع

ما أكثر القصص عن الدموع فى حياة القديسين .

القديس أرسانيوس الكبير من كثرة بكائه تساقطت رموش عينيه . هذا القديس العظيم كان يبلى الخوص بدموعه ، وكان يضع فوطة على رجليه أثناء عمل يديه ليتلقى فيها دموعه . بينما أرسانيوس هذا كان رجل صلاة ، يقضى الليل كله فى الصلاة . يقف للصلاة والشمس قد غابت ، ويظل يصلى حتى تظهر أمامه مرة أخرى . ومع ذلك فهو يبكى ...



ونحن نخطئ خطايا لا حصر لها ، وبدون بكاء .
أخشى أننا نكون قد فقدنا البكاء على خطايانا، من أجل أننا مشغولون بخطايا غيرنا وليس بخطايانا .

أو أننا فقدنا البكاء على خطايانا ، من أجل إشغالنا بإرتكاب
خطايا أخرى .

البكاء عبارة عن موضوع طويل لست أدرى هل سأستطيع أن
أوفيه هنا أم لا ...



المهم أننى أريد أن أقول لكم حقيقة ثابتة وهى :

داود كثير البكاء

إن داود كان شخصاً كثير البكاء .

يقول " أكلت الرماد مثل الخبز ، ومزجت شرابى بالدموع
(مز ١٠٢ : ٩) .

أى أنه يمسك كوباً ليشرّب ، فتنزل دموعه فى الكوب وهو
يشرب فيمتزج شرابه بالدموع ...

ما أعجب حساسيته !! ونحن نشرب الخطية كالماء ، وننسى
إن داود من كثرة دموعه ، يقول للرب " اجعل دموعى فى زق
عندك " (مز ٥٦ : ٨) . ويقول :

صارت دموعى لى خبزاً نهاراً وليلاً (مز ٤٢ : ٣) .

وفى صومه أيضاً كان يبكى ، ويقول " أبكيت بصوم نفسى "

(مز ٦٩ : ١٠) . إنه يبكى أمام الله ويقول له أنصت إلى دموعي ،
ولا تسكت عني ، لأني غريب عندك " (مز ٣٩ : ١٢) .. بكى داود
لأنه قال "الذين يزرعون بالدموع ، يحصدون بالإبتهاج " (مز ١٢٦ :
٥) .



وظل داود يبكى على خطيته طول حياته . ولم يفتّر أبداً عن
البكاء ...

هل تعرفون متى أبطل البكاء ؟ حدث ذلك حينما وقف على
حافة الأبدية على حافة الموت .

فقال وقتذاك : " ارجعي يا نفسي إلى موضع راحتك . فإن الرب
قد أحسن إليّ . وأنقذ نفسي من الموت ، وعينى من الدموع ،
ورجلي من الزلل " (مز ١١٦ : ٧ ، ٨) .

ارجعي يا نفسي إلى موضع راحتك ، بعد أن تعبت من التثهد ،
وتعبت من الدموع ، وكلت عيناك من الحزن والغم .



القديس أرسانيوس أيضاً كان يبكى حتى الممات .. وعند ساعة
موته أنزعج . فقال له تلاميذه : حتى أنت يا أبانا تخاف ؟!
فقال لهم : إن فزع هذه الساعة ملازم لي منذ دخلت إلى

الرهينة...
١٢

وأحد القديسين قال : من ثلاثة أمور أخاف : من ساعة الموت ،
انفصال نفسى عن جسدى . ومن ساعة الوقوف أمام منبر الديان
العادل . وساعة خروج الحكم على ...



إن الدموع لازمة ، لأنها تطهر النفس ، وتغسلها من الخطية .
أنظروا ماذا يقول داود النبى العظيم : كَلَّتْ مِنْ الدَّمُوعِ عَيْنَايَ ،
أى تعبت ...

ويقول الرب فى سفر يوشع النبى " ارجعوا إلى بكل قلوبكم ،
وبالصوم والبكاء والنوح " (يوء ٢ : ١٢) .
فهل بكينا نحن على ضعفائنا وعلى سقطاتنا الكثيرة؟ ونحن
نصلى فى صلاة نصف الليل ويقول كل منا " أعطنى يارب ينابيع
دموع كثيرة، كما أعطيت فى القديم للمرأة الخاطئة .. " (لو ٧ : ٣٨) .



لست أريد أن أطيل التأمل فى مسألة الدموع هذه فقد أصدرت
لكم كتاباً عن الدموع ، يمكن أن ترجعوا إليه ...

الاستجابة

نرجع على مزمور داود (مز ٦) ونقول إنه لما وصل إلى الدموع، رفع الرب الحزن عنه. وأصبحت نهاية المزمور تختلف تماماً عن مقدمته ، إذ شعر بالإستجابة فقال :

ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم .

لأن الرب قد سمع صوت بكائي

الرب سمع تضرعي . الرب لصلاتي قبل .



ربما كانوا فاعلوا الإثم ، أولئك الذين شمتوا به في سقطته ، إذ رأوا بعض عقوبات الله له ، فحسبوه مرفوضاً منه!! أو قد يكون المقصود بفاعلي الإثم : الأفكار التي تجلب الحزن أو اليأس . وبالنسبة إلينا - حينما نقول ذلك في صلاتنا - نقصد بفاعلي الإثم كل أفكار الخطية التي تحاربنا .

ابعدوا عني ، لأن الرب قد سمع صرختي ، حينما قلت له : وأنت يارب إلى متى ؟ عد ونج نفسي ...



ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم تعني أمرين :

أولاً إن الله إذ سمع صلاتي ، قد طردكم عني .
ثانياً : تعني عدم قبول المصلي لتلك الأفكار فاعلة الإثم التي
تحاربه ، وتجعل نفسه منزعة جداً .
داود وهو يصلي ، أحسن بعمل الله من أجله ...
أحسن بأن الله قد سمع صلاته واستجاب ، وهو لا يزال
يصلي...

دخل في قلبه نور الرجاء ، فقشع منه سحابة الحزن . وأصبح
لا قوة لفاعلي الإثم في محاربته . بل أنه اكتسب سلطاناً أصبح به
يطردهم من أمامه : ويقول لهم : ابعدوا عني .. ليس بقوتي ، وإنما
بواسطة الله الذي سمع صوتي تضرعي ، وقبل صلاتي . هذا الذي
أقول له :

قم أيها الرب الإله ، وليتبدد جميع أعدائك ، وليهرب من قدام
وجهك كل مبغضى إسمك القدوس .

وأصبحت توبته لا تتم فقط بالبكاء ، وإنما أيضاً بالبعد عن
فاعلي الإثم ، وطردهم . وهكذا بالتوبة وقبول الله لصلاته ،
استرجع سلامه الداخلي .



يقول : الرب سمع صوت بكائي .

إن دموعه لها صوت . لذلك يقول في موضع آخر "أنصت إلى دموعي" .. حقاً إن الدموع تتكلم بلغة أفصح من الألفاظ ، وأكثر إيقاعاً وتأثيراً .

" الرب قبل صلاتي " . دخلت هذه الصلاة إلى قلب الله ، واستجابها ، وآمن داود أنها قد استجيبت . شعر بذلك .

فتحولت دموعه إلى فرح ، وطلبته إلى شكر ، وانسحاقه إلى تهليل .

صارع مع الله ، وأخذ منه ما يريد ...

في أول مزموره ، كان يقول "يارب لا تبكتني بغضبك، ولا تؤدبني بسخطك" . وفي آخر المزمور يقول " الرب سمع تضرعي . الرب لصلاتي قبل " .. هنا العزاء والراحة .

فليخز أعدائي

وهكذا نراه يختم مزموره بهذه العبارة :

فليخز وليضطرب جداً جميع أعدائي

وليرتدوا إلى ورائهم بالخزي سريعاً جداً . هللويا .

سواء أعدائي الخارجين أو الداخلين .

فليخزوا . لأن عمل الرب معي ، قد أخزاهم . قبوله لصلاتي

وسمعه لتضرعى .. كل هذا يدل على قبوله ورضاه . وهذا ضد

شماقتهم بى . فليخزوا إذن ، وليرتدوا إلى الوراء .

ولعل هذا يحمل استجابة لصلاة قالها فى مزمور آخر وهى :

" اصنع معى آية صالحة ، ليرى ذلك مبغضى فىخزوا "

(مز ٨٦ : ١٧) .

وفى مزموره (مز ٦) ، لا يقصد بالخزى مبغضيه فقط ، وإنما

يقول فليخز (جميع أعدائى) . لأنه قال فى مزمور آخر "كثيرون

قاموا على . كثيرون يقولون لنفسى : ليس له خلاص بإلهه"

(مز ٣) ... كل هؤلاء الشامتين الحاقدين ، فليخزوا ... سريعاً جداً،

وليترتدوا إلى الوراء ، وليضطربوا جداً ...

أما أنا فأفرح بالرب ...

بالرب الذى صنع معى آية صالحة .

بالرب الذى سمع صوت بكائى ، ولصلاتى قبل .

مبارك يا داود على هذا الفرح والتهليل . حقاً كما قلت :

صوت التهليل والخلاص فى مساكن الأبرار (مز ١١٨ : ١٥) .

هللويا

يختم داود مزموره هذا بكلمة (هللويا) ...

وهي عبارة تعني التهليل للرب ، أو الفرح بالرب .
وتختتم بها كثير من مزامير داود، حتى المزمور الخمسين،
مزمور التوبة المشهور ، ينتهي بعبارة هلوليا أيضاً . وعجيب أن
مزمور "لا تبكتني بغضبك" المزمور الذي يبلى فيه فراشه بدموعه،
ينتهي أيضاً بعبارة (هلوليا) . وكذلك "المزمور الثالث" يارب لماذا
كثر الذين يحزنونني" . ومزمور "إلى متى يارب تتساني"
مز ١٢ (١٣) . بل كل مزامير صلاة باكر ...
حقاً إن داود قد يبدأ صلاته بالحزن ، ثم يختتمها بالفرح
والتهليل .

وكما يقول الكتاب "نهاية أمر خير من بدايته" (جا ٧: ٨) . لأن
البداية فيها مشاكلنا نقدمها إلى الله . والنهاية تحمل حلّ الله لهذه
المشاكل ...
وهكذا قد يبدأ داود مضطرباً يقول "نفسى قد أنزعجت جداً"
وينتهي بالفرح والتهليل . إنه درس لنا .

ليست هلوليا

تأملات في المزامير لقداسة البابا شنودة الثالث

- ١ - المزمور الخمسون (مع صلاة الشكر).
- من مزامير صلاة باكر :
- ٢ - يارب لماذا ؟ (مز ٣)
- ٣ - يارب لا تبكتني بغضبك (مز ٦)
- ٤ - يا الله أنت إلهي ، إليك أبكر • (مز ٦٢ (٦٣)
- ٥ - سبحوا الرب أيها الفتيان • (مز ١١٢ (١١٣)
- ٦ - طوبى للرجل • (مز ١)
- ٧ - إلى متى يارب تنساني • (مز ١٢ (١٣)
- من مزامير صلاة الساعة الثالثة :
- ٨ - يستجيب لك الرب في يوم شدتك (مز ١٩ (٢٠)
- من مزامير الغروب :
- ٩ - إليك رفعت عيني يا ساكن السماء (مز ١٢٢ (١٢٣)
- ١٠ - إليك يارب صرخت في حزني (مز ١١٩ (١٢٠)
- ١١ - رفعت عيني إلى الجبال ... (مز ١٢١ (١٢٢)

• تحت الطبع : يصدر الكتاب بعد أسبوعين إن شاء الله .

فهرست الكتاب

صفحة

٥	 مقدمة
٩	 لا تبكتنى بغضبك
١٢	 لا تؤدبنى بسخطك - ارحمنى لأنى ضعيف
٣١	 مثال أيوب
٣٣	 ضعف داود ومذلتة
٤٢	 نفسى قد أنزعجت
٤٣	 إلى متى
٤٨	 عُد ونج نفسى
٥٠	 وأحبنى من أجل رحمتك
٥٣	 ليس فى الموتى من يذكرك
٥٩	 بكاء داود
٦٢	 الدموع
٦٣	 داود كثير البكاء
٦٦	 الإستجابة
٦٨	 فليخز وليضطرب جميع أعدائى
٦٩	 هلوليا

فصل الكتاب

بسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد ، آمين

هذا الكتاب هو جزء
من التأملات فى المزامير
التي أصدرنا بعضها .
وهو مزمور من مزامير
باكر، ويصلى أيضاً فى صلاة
الستار، وفى الهجعة الأولى
من صلاة نصف الليل .
إنه من أهم مزامير التوبة.
وهو من النوع الذى تختلط
فيه دموع التوبة بالعزاء
الإلهى، والشعور بالاستجابة.
لذلك ينتهى بالفرح والتهليل .
مزمور نود أن يحفظه
الجميع، ويصلون به .
والى اللقاء فى كتاب آخر
يضم تأملات فى بعض مزامير
باكر. شنوده الثالث